الأثر الإيقاعي للتنغيم في سورة المائدة

أ.محمّد بولخطوط جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل

ملخص:

يعالج البحث ظاهرة صوتية لها أهمية بالغة في تحديد الدلالة، ألا وهي: ظاهرة التنغيم؛ وذلك من خلال ما يخلّفه الإيقاع الصوتي الملازم لها من تلونات تنغيمية، تتراوح ما بين الصعود والهبوط والاستواء، ومدى تأثير ذلك على توضيح المعاني والدلالات في آي سورة المائدة.

Résumé:

La recherche porte sur l'importance d'un phénomène acoustique dans la détermination du sens :le phénomène de la tonification et cela de ce qu'il engendre comme rythme vocal nécessaire aux différentes connotations toniques, variant entre l'ascendante, la descendante et la stable; et son impact dans la détermination des sens et des teneurs des Versets de *Sourat El Maïda*.

أقام علماء اللغة والأصوات نظرية استطاعت على المستوى النظري، أن تكشف عن النظام الذي تنطوي عليه وظيفة الصوت داخل نظام أية لغة، واستطاعت على المستوى التطبيقي أن تحلّ كثيرا من المشكلات العلمية في تعلّم اللغات، كما استطاعت هذه النظرية أن تقدّم فكرة أصلية للتحليل اللغوي، وهي فكرة الملامح فوق/غير التركيبية؛ أي الخصائص الصوتية التي تميّز فونيما عن فونيم آخر، ومن ثمّ أصبح مفهوم الفونيم عبارة عن مجموعة من الملامح المميّزة التي تنبع من الخصائص النطقية والسمعية والتي تحدّد كلّ صوت من أصوات اللغة مثل موضع النطق وصفته وغيرهما.

وهاته الملامح الصوتية تقع خارج البنية اللغوية، وهي ما يطلق عليها علماء اللغة والأصوات الملامح فوق/غير التركيبية، لأنّها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية كما هو الحال مع الصوامت والصوائت، بيد أنّ لها تأثيرات موجّهة للبنى الوظيفية، ومن هذه الملامح التمييزية **التنغيم**. فما المقصود به؟، ثمّ كيف يؤثر إيقاعيا على إبراز المعنى؟.

أولا: تعريف التنغيم

1 ـ لـغة: عرّف صاحب معجم "مقاييس اللـغة" التنغـيم فـقال: «نَغَمَ: النون والغين والميم ليس إلاّ النغـمة، جرس الصوت بالقراءة وغيرها وهو النَّغْمُ، وتَنَغَّمَ الإنسان بالغناء ونحوه»[1].

إذن فالتنغيم في اللغة يعني الغناء وتلحين الكلام وتنميقه بُغية أن يكون حسـنا في السمع.

2 ـ اصطلاحا:

لقي التنغيم شأنه في ذلك شأن بقية الظواهر فوق التركيبة اهتماما من لدن الدار سين المحدثين أكثر من غيرهم، لاسيما وأنّه يُعْرَفُ بموسيقى الكلام على حدّ تعبير"إبراهيم أنيس" كونه يضع العبارة، أو الجملة في قالـب تلحيني موسيقي مميّز، وفيما يلي عرض وجيز لبعض هذه التعريفات التي صاغها هؤلاء الباحثين لهذا المفهوم:

* **تعريف "الفارابي"** يعرّف الفارابي التنغيم مستعملا مصطلح "النغم" للدلالة عليه فيقول: «والنغم: الأصوات المختلفة في الحدّة والثقل التي تتخيّل أنّه ممتدّة»[2].

* **تعريف "شاهر الحسن":** يعـرّف التنغيم بقوله: «التنغيـم يعـني التغـير في درجـة الصـوت ارتـفاعا أو هبوطا أو استواءً من بداية الجملة (أو العبارة) حتى نهايتها»[3].

* **تعريف "مصطـفى حركـات":** هو: «تغير في ارتفـاع النغمة يخصّ سلاسل أطـول من التي ينطـبق عليها النـبر، وغالبا ما يخصّ الجملة أو شبه الجملة»[4].

* **تعريف "محمد إسـحاق العناني":** التنغيم في علم الأصـوات هو: «الدراسـة التي تعنى بالتغيّرات التي تطرأ على حركة النغمات واتجاهاتها من حيث الهبوط أو الصـعود أو كليهما، ويعتبر المقطع الوحـدة الصوتـية الأساسية التي تـتركّز عليها دراسـة التـنغيم لاسـيما درجـة الصـوت التي تلـفـظ عليها، فقد يلفظ المقـطع على نغـمة عـالية أو نغمة منخفضة، أو نغمة متقلّبة (صعودًا، ثمّ هبوطًا أو بالعكس»[5].

اتفقت جميع هـذه التعريفـات التي أتينـا على ذكرهـا في: أنّ التنغيم هو تغير على مسـتوى الصوت، إمّا صعـودا وإمّا نـزولا، وإمّا توسـطا أو اعتدالا، وبتـعبـير أدق فإنّ الـتنـغيم هو الارتـفـاع أو الانخفاض في درجة الجهر بالصوت، وذلك منوط أساسا باختلاف نسبة اهتزاز الوترين الصوتيين.

ثانيا: علاقات التنغيـــم

للتنغيم علاقات كثيرة ومتعددة يمكن إبراز بعضها في النقاط التالية:

1 ــ بين النغمة وبين اللحن:

يفرق بعض الدارسين بين النغمة واللحن، فأمّا النغمة فيُقصد بها: «تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية، فتوصف النغمة بأنّها صاعدة أو هابطة أو مستوية، وأمّا اللحن فهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية؛ أي الترتيب الأفقي للنغمات، ويقترب معنى اللحن من دلالة مصطلح التنغيم»[6].

2 ــ بين التنغيم وبين النغمة:

يعدّ كلّ من التنغيم والنغمة فونيما غير تركيبي أو ظاهرة فوق تركيبية؛ ذلك أن مثل هذه الظواهر الصوتية الوظيفية ليست جزءً من التركيب نفسه؛ أي أنّها ليست عناصر مكونة للتركيب الصوتي للغة كما هو الحال مثلا مع الصوامت والصوائت، هذا فضلا عن كون التنغيم مثله مثل النغمة «توالي درجات صوتية مختلفة أثناء النطق، أو بعبارة أخرى هو الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت أثناء الكلام»[7]، وما يفرّق بينهما: أنّ النغمة هي «ارتفاع الصوت وانخفاضه على مستوى الكلمة المفردة مثل: نعم، بلى، لا، أمّا التنغيم فيُوظّف على مستوى العبارة أو الجملة»[8].

وتسمّى اللغات المستعملة للنغمة: "لغات نغمية"، حيث تقوم النغمة فيها بوظيفة تمييزية شأنها في ذلك شأن الفونيم.

3 ــ علاقة التنغيم بالإيقاع والموسيقى:

يحدّد "قاسم بني دومي" طبيعة هذه العلاقة قائلا: «للتنغيم صلة وثيقة بالإيقاع وموسيقى الكلام وعليه يمكن القول: إنّ التنغيم ظاهرة صوتية تنتظم التركيب عن طريق إطلاق نغمات موسيقية منتظمة ومتنوعة، في حدث كلامي معيّن؛ وذلك لأداء دلالات معيّنة»[9].

4 ــ بين التنغيم وبين الترقيم:

يقدّم "تمّام حسّان" تفرقة بين التنغيم وبين الترقيم فيقول: «التنغيم في الكلام المنطوق كالترقيم في الكلام المكتوب، غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، وربّما كان ذلك لأنّ ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر ممّا يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثر، وربّما كان ذلك لسبب آخر...»[10].

من خلال هذا الكلام الذي ساقه "تمّام حسّان" يمكن القول بأنّ التنغيم أوسع من الترقيم وأشمل منه، فهو يتقاطع معه في بعض الجوانب ويتجاوزه في جوانب أخرى؛ ذلك أن عمليات الترقيم في الكتابة إنّما تعتمد أساسا على العلامات السابقة الذكر فقط، في حين يعتمد عليها التنغيم كوسيلة لفهم المعنى المراد، هذا فضلا عمّا يستخدمه من تلونات لفظية وصوتية

وحتى إشـارية. قياسـا على هذا يمكن القول: **إنّ التنغيم هو ترقيم الفصـاحة، أمّا الترقيم فهو تنغيم البلاغة.**

5 ــ علاقة التنغيم بالوقف:

إنّ دور الوقـــف يكاد ينحـــصر في إبـــراز نوع التنغـــيم من خلال النغمة الأخيـــرة المـــــوقوف عليـــــها، والتي عادة ما تكون منبورة، لاسيما إذا كانت على مستوى المقاطع المنبورة، والتي لا تتحقق غالبا إلاّ عند الوقف[11].

6 ــ علاقة التنغيم بالترتيل:

تقتضـــي قراءة القرآن قراءة مرتّلة مراعاة قوانين النغم، أو ملامح العلو الموســـيقي، والترتيل لا يكون كاملا إلاّ بحفظ هذه الملامح؛ ذلك أنّ علم التجويد لا يختصّ بدراسة الأصوات اللغوية من حيث إتقان مخارجها وإعطائها حقّها ومستحقّها فحسب، إنّما هو أيضا ملامح نغمية وتنغيمية ينبغي صـــيانتها وحفظها[12]، وهذا ما انتبه إليه الإمام "الزركشـــي" حيث يقول في "البرهان": «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكامل الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديدا لُفِظَ به لَفْظَ المتهدّد، وإن كان يقرأ لَفْظَ تعظيم لُفِظَ به على التعظيم»[13]

إذن فثمّة صلة وثيقة بين «تحقيق الصوامت والمصوّتات تحقيقا مجوّدا وتوظيف ملامح العلو الموسيقي»[14] من أجل تحقيق المعنى المراد.

7 ــ علاقة التنغيم بالنبر:

يتقاطع التنغيم مع النبر في أنّ كلاهما يشـــتركان في خاصـــية فيزيائية واحدة وهي استفادتهما من الوحدة الصوتية (الصوت)، غير أنّ التنغيم يخالف النبر في الحـــدود والـــدلالـــة، فـــحـــدود التنـــغيم أوسع من حدود النبر؛ ذلك أنّ الأصل في حدود التنغيم هو"الجملة"، يبدأ من أوّلها وينتهي عند آخرها. في حين أنّ النبر قد يكون في كلمة من كلمات الجملة (النبر الجملي)، وقد يكون على مقطع من مقاطع الكلمة، أو صوت من أصواتها (النبر الكلمي).

أمّا فيما يخصّ الدلالة فإنّ دلالة النبر تعود إلى نوعيه؛ فالنبر الجملي تتعلّق دلالته بالمستوى التركيبي (السياق)، أمّا النبر الكلمي فتتعدد دلالاته بتعدد أنواعه، فقد يؤدّي وظيفة فونيمية فهو حينها ذو دلالة صرفية أو معجمية، كما قد يؤدي وظيفة تطريزية، فهو لا دلالة له، وإنّما يعدّ حينئذ جزءً من البنية الصـــوتية للكلمة، وهاتين الدلالتين يؤديهما النبر حينما يكون شديدا (نبر الشدّة)، أمّا نبر الطول وهو النوع الثاني من نبر الكلمة فدلالته إمّا أن تكون انفعالية أو تأكيدية أو تثير الاندهاش، أمّا دلالة التنغيم فهي دلالة عامة على مســـتوى الجملة وهي: الإخبار، الاستفهام، الاستنكار، التعجب والإقرار...[15].

ثالثا: أنواع التنغيـــــم

اشتهر عند علماء الأصوات ثلاثة أنواع من التنغيم وهي:

1 ــ النغمة الصاعدة: وتعني: «وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر، تليها درجة أكثر علوًا منها»[16].

ومعنى هذا أنّ هذه النغمة: «تنتهي بدرجة إسماع عالية، ففي حالات الاستفهام والشرط والغضب مثلا تتوتر الحبال الصوتية عند نهاية الجملة، فيكون الصوت حادا»[17].

ومثال النغمة الصــاعدة قوله تعالى: [**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**] المائدة/89، فمن علامات منحــنى الرفع أو قــوّة النغمة: القسم، قال "ابن كثير" في تفسير الآية السابــقة متحــدثا عن

يمين اللغو: «وأنّه قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا واللّه، وبلى واللّه»[18].

2 - النغمـة الهـابطـة: وتعني «وجود درجـة عـاليـة في مقطع أو أكثر، تليهـا درجـة أكثر انخفاضا»[19].

ومعنى هذا أنّ هذه النغمة: «تنتهي بدرجة إسماع منخفضة، ففي حالات الضعف والعجز والهدوء والحلم أو في الجمل التقريرية عموما، ترتخي الحبال الصوتية في نهاية الجملة، فيكون الصوت ثقيلاً، وهذا ما يفسّر وجود النغم الهابط»[20].

ومن أمثلة النغمة المنخفضــة الهابطة قوله تعالى: [**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُــهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**] المائدة/30، فالمقام هنا مقام إخبار وتقرير.

ويكثر ورود الأولى في جمل الاســتفهام التي تتطلّب الإجابة بنعم أو بلا، وكذلك الجمل المعلّقة

على الشــرط، أمّـا الأخرى فيكثر دورانهـا في الجمـل التقريريـة والخبريـة، وحتى الجمـل الاستفهامية بالأدوات الخاصة.

كما قد تظهر النغمتان الصــاعدة والهابطة في جملة واحدة: كجملة الشــرط بطرفيها؛ فجملة الشــرط تشــتمل على نغمة صــاعدة، لعدم تمام الكلام وجملة الجواب ذات نغمة هابطة لتمام الكلام[21].

3 ــ النغمة المستوية: وهي عبارة عن «عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة، سواء أكانت منخفضة أم عالــيـة أم متوســطـة، وعلى ذلـك فالنغــمة المســتـوية تأتي على صــور ثـلاث وهي: نــغــمة مســتوية منــخفـضة، نغمة مستوية مرتفعة، نغمة مستوية متوسطة»[22].

فواضــح من خلال هذه الأنواع التنغيمية الثلاثة أنّ العلماء قد اعتمدوا في وضــعها، على معيار الاتجاه الصوتي منذ بداية الكلام وحتى نهايته. بيد أنّ هناك عدد من الباحثين قد أضافوا نوعين آخرين للتنغيم غير الأنواع الثلاثة المذكورة آنفا وهما:

* **التنغيم الصاعد الهابط:** وذلك بأن تكون: «البداية هابطة يعقبها صعود يليه هبوط في النغمة»[23].

* **التنغيم الهابط الصاعد:** ويتمثّل ذلك في أنّ يبدأ الكلام بـ: «نغمة صاعدة، تليها نغمة هابطة ثمّ نغمة صاعدة»[24].

رابعا: خصائص التنغيم

يتسم التنغيم بجملة من الخصائص، لابدّ من وجودها جميعا في العبارة المنطوقة؛ وذلك لكون أيّ نطق لا يمكن أن يتمّ بمعزل عن قوّة الصوت أو شدّته أو سرعته، ومن تمّ فهي تتشارك جميعا في أداء وظيفتها، وعلى ذلك يصعب الفصل والتمييز فيما بينها، وهذه المميّزات هي[25]:

1 ـ النغمة: ونعني بها حركة النغمة في العبارة التي يكوّنها ارتفاع جرس الصوت الأساسي أو انخفاضه، فالنغمة مكوَّن نغمي.

2 ـ الشّدة: وهي المكوَّن الإيقاعي الحركي.

3 ـ الطول والسرعة: وهو المكوِّن الزمني، أمّا المكاني فهو موقع النغمة بين النغمات.

4 ـ الوقف: أي القطع والنطق بأطوال مختلفة.

5 ـ الحدّة: أي تلونات الكلام الشعورية والانفعالية.

6 ـ الاعتماد على المنطوق دون المكتوب، وإن كان اللغويون قد وضعوا علامات للترقيم تعبّر عن تلك النغمات مثل النقطة، الفاصلة، علامة الاستفهام، التعجب،...

7 ـ التنغيم ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات لكونها تؤثر في تغير الدلالة، دون أن تتغيّر المفردات وهنا تكمن أهمية التنغيم.

خامسا: أهمّية التنغيم

يعرّف "الجاحظ" الصوت مبيّنا أهمّية التنغيم قائلا: «والصوت هو آلة البيان والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلّا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّلِّ والشّكل والتَّفَتُّلِ والتَّثَنّي واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور»[26].

وإشارة "الجاحظ" في هذا القول لدليل على أهمّية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلّم، وهي بعد ذلك التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي.

سادسا: وظائف التنغيم

يؤدّي التنغيم على مستوى اللغة جملة من الوظائف اللغوية، ولعلّ أبرزها ما يلي:

1 ـــ الوظيفة الصوتية: تتجسد هذه الوظيفة في التنغيم في ما له سمة صوتية موسيقية، تشبه الترجيع اللحني، فمن المعلوم أنّ التنغيم يقوم على التنويعات الموسيقية في نسق الكلام، ولا يبعد هنا الأثر الموسيقي الجمالي لهذه التنويعات، ممّا يملك على السامع أسباب التواصل والارتياح[27].

2 ـــ الوظيفة الصرفية: لقوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزانا موسيقية، وكلّ بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة، فالفرق بين الكلمة ومشتقاتها نحو: الفعل (يحمد)، اسم الفاعل (حامد)، اسم المفعول (محمود)، الصفة المشبهة (حميد)،...وما يتفرع عنها، هو فرق بين الأفعال والأسماء والمصادر والصفات وإفراد ومجموع، وهو كلّه قائم على الفرق بين وزن وآخر، وبين قياس صوتي وآخر مثله، يتوقف على الحركات والنبرات؛ أي اختلاف النغمة الموسيقية، فلكلّ وزن من الأوزان الصرفية نغمة موسيقية محدّدة، تختلف باختلاف الصيغة ودلالتها. فلفظة "يشاقق" مثلا وردت في القرآن الكريم بالإدغام وبدونه، ففي سورة الحشر يقول المولى عزّ وجلّ [**وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ**]الحشر/4 بالإدغام، فالتنغيم الصوتي في حرف "القاف" ـــ حالة الإدغام ـــ وقبله المدّ يعبّر عن صعوبة الحدث وعاقبته الوخيمة، لأنه تعامل مع الخالق، وبغير الإدغام مع لفظة "الر سول" في قوله تعالى: [**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**]النساء/115، فيعبّر التنغيم عن كون: الشقاق مع المخلوق غيره مع الخالق، فهو أسهل قياسا بالأوّل، كما يمكن للنغمة كذلك أن تتدخل في تحديد عدد وجنس ونوع الصيغة الصرفية، وهذا يدل دلالة واضحة على أنّ للتنغيم وظائف صرفية دلالية مهمّة[28].

3 ـــ الوظيفة النحوية: تعدّ هذه الوظيفة عاملا فاعلا في التمييز بين أنماط التراكيب والتفريق بين أجناسها النحوية، فالتنغيم بأنماطه المنوعة عامل أساسي في بيان أن المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه أم غير مكتمل. يظهر ذلك بوضوح في الجمل الشرطية، كما في قولنا مثلا: "إنْ تأت، تجد ما يسرّك."، حيث تنتهي جملة الشرط بنغمة صاعدة دليلا على عدم تمام الكلام، فتمامه يحصل بجواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة، دليلا على الاكتمال في المبنى والمعنى معا. والتنغيم هنا يؤدي دورا يشبه دور علامات الترقيم في الكتابة، كما هو واضح من خلال المثال السابق؛ فوجود الفاصلة في الجزء الأول من العبارة السابقة دليل على استمرارية المنطوق، كما تعني ارتباط هذا الجزء من المنطوق وتعلّقه بما يكمّله، فكانت النقطة في النهاية دليلا على الاكتمال. ومن أهمّ الوظائف الأخرى التي يؤديها التنغيم: دوره في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجّبية، فالجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهاياتها: يتمثّل هذا النمط في النغمة الهابطة التي تدلّ على تمام المنطوق واكتماله، في حين أنّ الجملة الاستفهامية ---- وبخاصة تلك التي تستوجب الإجابة بلا

أو نعم ـــــ تنتهي بنغمة صاعدة كما هو الحال في الجمل الاستفهامية التي تستخـــدم فيها عـادة أدوات الاستـفهام العامـة، وهي: الهمـزة وهل، كقولك: أفَهِمْتَ؟ فيـكون الجـواب: لا أو نعم، حيث تنتهي جملة الاســتفهام بنغمة صـــاعدة، دليلا على أنّ الكلام لم يتم (في موقفه المعين)، وتمامه بالإجابة (بصورتيها المذكورتين) التي تنتهي بنغمة هابطة[29].

4 ــ الوظيفة الدلالية السياقية: حيث تنبئ اختلاف النغمات وفقا لاختلاف المواقف الاجتماعية عن وجهـات النظـر الشخـصية من رضا وقبول وزجر وتهكّم وغضب وتعـجّب ودهشة ودعاء... الـخ، حيث يقوم التنغيم بأداء هذه المعاني بمعونة السياق العام المتعلّق بالظروف والمناسبات التي يلقى فيها الكلام، وبهذا يكون عنصر التنغيم ركنا أساســيا في الأداء، يتحكّم على نحـــو واضح في تحديد المعنى وتوجيـــهه، اعتمادا على كيفـــية نطـــــق الجمـــلة وتنغيمها؛ فتغيّر النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة[30].

ومن خلال هذه الوظيفة يمكن القول: إنّ التنغيم له أهمية كبيرة في تحديد معنى الجمل وتوجيهه، فهو بهذا من مصـطلحات علم الأصـوات الوظيفي، تكمن مهمّته في «حلّ الكثير من الإشكالات الدلالية اللغوية، التي تتصل بالأصوات وسياقات الكلام التنظيمية، إذ تتحدّد الصور النطقية بموجب أنماطه، من صعود وهبوط واستقرار»[31]، واللغة العربية واحدة من اللغات التي يعمل فيها التنغيم عمله، فهي لغة تنغيمية؛ أي أنّ التنغـيم يؤدي وظيفته فيها على مستـوى الكلمـــة والجملـــة مفرقا بذلك بين أســـاليبها الكلامـــية، ولعلّ ما يفسّر أهم وظائف النبر بكونها الوظيفة الصرفية اهتمامه بالكلمات دون الجمل، في حين أنّ أهمّ وظيفة يؤديها التنغيم هي الوظيفة التركيبية والنحوية لعنايته أكثر بالجمل والعبارات اللغوية.

فضـــلا عن هـذه الوظـائف الأربعـة التي يؤديهـا التنغيم هنـاك الوظيفـة التعبيريـة أو الانفعالية، فهو يعبّر عن الانفعالات والمشـاعر؛ ذلك أنّ تنغيم الرضـى مثلا غير تنغيم الغضـب، وتنغيم الحزن غير تنغيم الفرح وهكذا دواليك، ويمكن أن نجمع كلّ وظائف التنغيم في وظيفة رئيســية وهي **الوظيفة التمييزية**، ففي اللغة العربية مثلا هناك الكثير من الجمل التي يختلف معناها باختلاف الصـــورة التنغيمية التي تلفظ بها، وذلك عن طريق الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت، مع ما يحيط به من مقتضيات السياق وملابسات الموقف.

بعد هذا العرض الموجز للتنغيم ووظائفه أمكن للسـائل أن يتسـاءل فيقول: هل التنغيم "فونيم" في اللغة العربية أم أنّه مجرد تلوّن صوتي تنتج عنه ملاحة في الكلام؟.

سابعا: فونيمية التنغيم في النظام اللغوي العربي

يرى بعض الباحثين أنّ التنغيم في العربية غير ذي دلالة، ويرجع ذلك إلى أمرين: الأوّل منهما: «أنّ العربية تستغني عنه بالأدوات وعلامات الإعراب، والآخر لأنّ اللغويين القدامى لم يسجّلوا لنا شيئا عنه»[32]. وإذا كان الأمر الأول مقبولا لحدّ ما فإنّ الأمر الآخر لا يمكن التسليم به، هذا من جهة، وتعميم هذا الحكم على كلّ علماء الأصوات القدامى من جهة أخرى، فها هو "ابن جني" مثلا، وهو من قدامى الصوتيين نجده قد عقد في كتابه "الخصائص" بابا تحت عنوان "في نقض الأوضاع إذا ضامّها طارئ عليها"، وهذا يؤكّد بأنّ "ابن جني" كان على وعي تام بظاهرة التنغيم في العربية، ودورها الوظيفي والمتمثّل في تحديد معاني ودلالات الكلام، وفي هذا الصدد يقول مؤكدا على وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية: «ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامّه معنى التعجّب استحال خبرا. وذلك قولك: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أيَّ رَجُلٍ! فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهما(...)، ومن ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابا وذلك كقول الله سبحانه: [**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ**][*] سورة المائدة/116، أي ما قلت لهم، وقوله: [**آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ**] سورة يونس/59 أي لم يأذن لكم، وأمّا دخولها على النفي كقوله عزّ وجلّ: [**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**] سورة الأعراف/172 أي أنا كذلك»[33].

ثامنا: الدراسة الإيقاعية للتنغيم في سورة المائدة: بين الأداء والدلالة

تشكّل العلاقة بين الأصوات ودلالاتها في العربية ظاهرة لا يمكن إنكارها، وهي تمتدّ لتشمل كمّا كبيرا من ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها، بل إنّ العربية أكثر اللغات احتواء لمظاهر **الدلالة الصوتية**، سواء أكان ذلك على مستوى اللفظ أم السياق أم على مستوى الأداء، أم على مستوى الصيغ والأوزان؛ وزيادة المعنى ناتج في أساسه عن زيادة في المبنى.

يعدّ النص القرآني على هذا الأساس من أغنى النصوص وأثراها من الناحية الصوتية، ولذا فإنّ الصوت في القرآن له دورا مهمّا وأساسيا في جانبه الجمالي المتمثّل في الإيقاع المتميّز، والدلالي المتمثّل في ما يفيد من معاني وأغراض، وأهمّية الصوت تكمن في تكوين الإيقاع المناسب للمعنى والغرض، ونوع التأثير المراد إثارته في نفوس السامعين.

إنّ الأداء القرآني المتقن وفق أحكام التجويد، ووفق مظاهر التحبير الصوتي تُظْهِر لنا الدلالات الحقيقية للنصّ القرآني بآفاقها الواسعة، ومن بين هذه التنوعات الصوتية التي لها دورا كبيرا في ربط الصوت بالمعنى: **ظاهرة التنغيم.**

وقبل الخوض في الدراسة الصوتية الإيقاعية الخاصة بهذه الظاهرة، لا بدّ من الإشارة أولا إلى أنّ طبيعة النص القرآني من الناحية الأدائية أو التلاوة يختلف عن النصوص الأخرى نثرها وشعرها، فالذي يريد أن يتلو القرآن، عليه أن يكون ملمّا بقواعد التلاوة تعلّما وأداءً لكي يقرأه قراءة صحيحة، وقبل أن يجتهد العلماء في وضع قواعد التلاوة الصحيحة، كان الناس يقرؤون

القرآن مجـوّدا على السليـــقة، ولكن حينـما اختـلط العـرب بالعجم في عصـــر الفـــتوحات الإسلامية ومـــا بـــــــعدها، انتشر اللحن في التلاوة فاجتهد القرّاء والمجوّدون ووضعوا قواعد وأحكام التلاوة النموذجية للقرآن، وسـمّوه بفنّ: الترتيل أو علم التجويد الذي يقتضـي أن يعطي القارئ للحرف حقّه ومستحقّه من المخارج والصفات.

وحيث أنّ المقام لا يتسع لبحث كلّ آيات سورة المائدة رغبة في إعطاء صورة واضحة عن فكرة العلاقة بين الأداء الصوتي لظاهرة التنغيم ودلالته على مستوى هذه السورة الكريمة، من خلال ما يخلّفه الإيقاع الملازم له من تلونات صـوتية تتراوح بين مسـتويات نغمية متباينة من شـأنها الوقوف على المعنى المقصـود، رأيت أن أقصـر البحث على بعض آيات سـورة المائدة، متبوعة بدراسة دلالية مستنبطة من خلال الأثر الإيقاعي للتنغيم على مستواها.

1 ــ الآية 43:

قال الله تعالى: [**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**].

للاستفـــهـــام معاني متـــعدّدة وأغـــراض كـــثيـــرة تســـتفاد من خـــلال سيـــاق الكـــلام وحـــال المـــخـــاطـــب أو المتكلّم، والظروف المحيطة بهما. فإذا كان الغرض من استعمال أداة الاستفهام: السؤال بهدف الوصول إلى إجابة معينة، فإنّ أداة الاستفهام هنا تؤدّي معناها الأصـلي، أمّا إذا كان السـؤال لأداء غرض آخر غير الاسـتجواب، فإنّ الاسـتفهام في هذه الحالة يخرج عن معناه الأصـلي إلى معانٍ أخرى، تماما كما هو الحال مع لفظة "كيف" في هذه الآية، حيث خرجت من معناها الأ صلي وهو الا ستفهام إلى معنى التعجّب والا ستـــــــــغراب؛ فعـــجيب حـــال هؤلاء اليهود الذين تركوا حكـــم التـــــوراة التّي يدّعـــــون الإيمـــــان بها وهم يـــــــدركونه، وطالبوا من الرسول (ص) أن يحكم لهم في مسألتهم، ورضاهم بحكمه إذا وافق أهواءهم، وتركهم إياه إذا جاء على غير ما يريدون، وما ذلك إلّا إثبات وتأكيد على أنّهم ليســوا مؤمنين بالتوراة إيمانا صـادقا صـحيحا «إذ المؤمن بشـرع لا يرغب عنه إلى غيره، إلّا إذا آمن بأنّ ما رغب إليه شرعٌ من الله أيضا أيّد به الأوّل أو نسخه لحكمة اقتضت ذلك»[34].

والاسـتفهام هنا الذي جاء في صـيغة التعجّب لا يهدف إلى الاسـتجواب أو الاسـتخبار، ومع ذلك فالمناســب لهذا المعنى أن تكون نغمة الأداء مرتفعة صـــاعدة على طول مدى هذه الآية، لتؤدّي إلى إيصال معنى الاستغراب من حال هؤلاء اليهود.

2 ــ الآية 64

قال الله عزّ و جلّ: [**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَـاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**].

أمّا فيما يتعلّق بالتنغيم على مستوى هذه الآية فإنّه يمكن تقسيمها إلى مجموعتين مقطعيتين

نغميتين مختلفتين **باختلاف القراءة**، فقد يحدث وأن تـ سمع بعض القراء يقرؤون قوله تعالى: [**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**] بتنغيم صاعد مرتفع؛ فهؤلاء يغلب على قراءتهم نوع من الانفعال يدلّ على الاستنكار الشديد لهذه الادّعاءات والافتراءات الباطلة على الله تعالى. بل إنّ هذا الانفعال يمتدّ ليبلغ مداه من الإعلان والتفخيم عند قراءته الـ ـردّ القرآني على هذه الادّعاءات، يقول الله تعالى: [**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**] إلى قوله: [**طُغْيَانًا وَكُفْرًا**] ويتبع منحنى الرفع هذا نغمة هابطة فيها تقرير وإخبار بجزاء أعداء الله المفترين عليه، قال تعالى: [**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ**] إلى قوله تعالى: [**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**].

فبناء على هذا الكلام يمكن القول: إنّ هذه الآية تبتدئ بنغمة صاعدة تتبعها نغمة أخرى هابطة. وقد يحدث في المقابل أن تسمع بعض مرتلي القرآن الكريم يقرأ قوله تعالى: [**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**] بنغمة هابطة؛ وخفض الصوت في هذه المواطن وغيرها من المواطن المشابهة، له دلالة مركزية ومحورية مفادها: أنّ الخفض هنا يمثّل رسالة صوتية للمستمع مؤدّاها أنّ هذا الكلام افتراء على المولى عزّ وجلّ، وليس له أساسا من الصّحة. يقول "أحمد البايبي" موضّحا هذه الدلالة: «إنّ هذه الآيات فيها جرأة على الله وتقَوُّلٌ عليه، وكفر وتحدٌّ أو افتراء عليه، لذلك فهي تُؤدَّى على مستوى طبقات الصوت بصوت خفيض تسفيها لقائلها، وتعظيما لله واستحياء منه»[35].

هذا ويستمرّ منحنى الخفض إلى نهاية الآية لِما فيها من إخبار وتقرير لمصير هؤلاء المدّعين كما أشرنا. ممّا يعني أنّ الآية64 تُؤدّى من هذا المنظور بنغمة واحدة على طول مداها، وهي النغمة الهابطة.

3 ــ الآية 73

قال عزّ وجلّ: [**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**].

يمكن تقسيم هذه الآية إلى مجموعات مقطعية نغمية: نغمة هابطة في قوله تعالى: [**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**]، تليها نغمة صاعدة تتجسّد في قوله تعالى: [**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ**]، بعدها نغمة هابطة تتجلّى من خلال قوله تعالى: [**وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**]. فأمّا النغمة الأولى، أي النغمة الهابطة؛ فلأنّ المقام هنا مقام افتراء وادّعاء باطل وكاذب، تُتلى هذه المجموعة المقطعية بصوت منخفض تسفيها لقائلها، وتقديسا للمولى عزّ وجلّ. أمّا المجموعة المقطعية الثانية فتؤدّى في العموم بنغمة عالية سريعة، فأنت حينما تستمع لأداء هذه الآية القرآنية، والمتمثّلة في الردّ الربّاني على افتراءات المسيحين تلمس فيها نوعا من الانفعال الذي يغلب عليه دلالة الاستنكار الشديد لهذه

الإدّعاءات الزائفة، وهذه هي **الوظيفة التعبيرية** للتنغيم، والتي يطلق عليها القراء تسمية: المدّ المعنوي الذي يكون قصد المبالغة في النفي والتعظيم «فمدّ الصوت إذا وارد للتعبير عن المبالغة في نفي الألوهية عن غير اللّه»[36].

وتُختَمُ الآية بنغمة هابطة على الرغم ما فيها من تهديد ووعيد، إلّا أنها جاءت في قالب إخباري تقريري.

4 ــ الآية 76

قال اللّه تعالى: [**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**].

إنّ ما يميّز الاستفهام بأداتيه "الهمزة وهل" من الناحية الصوتية هو منحنى الرفع سواءً أكان الغرض منهما: السؤال أم خرج الغرض إلى معانٍ أخرى ثانوية. وعلى هذا الأساس فإنّ اتجاه المنحنى النغمي في هذه الآية هو اتجاه تنازلي، يبتدئ بنغمة صاعدة يجسّدها هنا الاستفهام، تليها نغمة هابطة يمثّلها الإخبار والتقرير؛ فأمّا النغمة الصاعدة فنجدها في قوله تعالى: [**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**]، وهمزة الاستفهام هنا ليست بغرض الاستجواب بقدر ما هي استفهام استنكاري، لأولئك النصارى وأمثالهم ممّن عبدوا غير اللّه ما لا يقدر على إلحاق ضرر عليهم، ولا إيجاد نفع لهم، وفي هذا تقبيح لسوء فعلهم، وتعجب منهم وذمّ لهم على اقترافهم للمنكرات وإصرارهم عليها؛ فالعاجز عن الضّرر والنفع كيف يعقل أن يكون إلها؟! فكأنّ تقدير المعنى: عجبًا منكم على أيّ حال يقع منكم الكفر باللّه مع الدلالة الظاهرة على قدرته، والمعجزات القاهرة على صدق وحدانيته، وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته، وشكر نعمته وعبادته وحده لا شريك له، أمّا النغمة الهابطة فتتجلي واضحة في مقام الإخبار والتقرير عند قوله تعالى: [**وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**].

5 ــ الآية 91

قال اللّه عزّ وجلّ في محكم تنزيله: [**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**].

اشتملت الآية على نغمتين مختلفتين الأولى: هابطة تبتدئ من قوله تعالى: [**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ**] إلى غاية قوله: [**وَعَنِ الصَّلَاةِ**]، وفيها إخبار عن حال شاربي الخمر ولاعبي القمار، تليها نغمة صاعدة في قوله تعالى: [**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**]، حيث تؤدّى هذه المقاطع بتنغيم عال وسريع.

إنّ التنغيم قد يكون في بعض النصوص أهمّ من وجود الأداة، لأنّ هناك العديد من النماذج التي اشتملت على أدوات الاستفهام مثلا، وهي في الوقت نفسه لم تحكم على تلك النصوص بأنّها استفهامية، فحرف الاستفهام (هل) مثلا في هذه الآية لا يشير إلى الاستفهام بل هو هنا يفيد معنى الأمر(**)، يقول صاحب "أيسر التفاسير" في

تفسير قوله تعالى: [**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**]: «أي انتهوا، والاستفهام للأمر لا للاستخبار»[37].

إذن فدلالة الأمرية هنا واضحة وجليّة؛ فنغمة السؤال الصاعدة تدعو السامع بصوت ممدود ومرتفع إلى الإذعان والتسليم والانتهاء عن شرب الخمر وفعل القمار، امتثالا لأوامره عزّ وجلّ والتقدير(أسلموا وانتهوا)، وهذا السياق يقتضي إحضار معنى الوعيد والتهديد والترهيب، لأنّ هذا الغرض يتطلّب إظهار الشدّة والحزم والجدّ، وهذا ما يتلاءم مع النغمة المرتفعة، يقول الشيخ "محمّد الصابوني" في مقام الحديث عن قوله تعالى: [**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**]: «إيذانا بأنّ الأمر في الزجر والتحذير قد بلغ الغاية القصوى»[38].

ويمكن إيضاح هذا المعنى أكثر من خلال الحديث الذي ورد في "سنن الترمذي"، حيث رُوِي عن "عمر بن الخطّاب" أنّه قال: «اللهمّ بيّن لنا في الخمر بيان شفاءٍ، فنزلت التي في البقرة: [**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عليه، فقال: اللهمّ بيّن لنا في النساء: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عليه، ثمّ قال: اللهمّ بيّن لنا في الخمر بيان شفاءٍ، فنزلت التي في المائدة: [**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**] إلى قوله: [**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**] فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عليه، فقال: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»[39].

6 ــ الآية112

يقول الله تعالى: [**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**].

يمكن تقسيم هذه الآية إلى ثلاث مجموعات مقطعية بالنظر إليها من زاوية أدائها النغمي: نغمة هابطة تتجلّى من خلال قوله تعالى: [**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**]، تليها نغمة صاعدة تتجسّد في قوله تعالى: [**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**]، تتبعها نغمة هابطة أخرى في قوله عزّ وجلّ: [**قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**]؛ فالنغمة الهابطة وردت في مقام الإخبار والتقرير، في حين جاءت النغمة الصاعدة في سياق الاستفهام؛ فأمّا الاستفهام هنا: فهو استفهام حقيقي بالأداة "هل"؛ أي أنّه لم يخرج إلى معاني أخرى كما رأينا في السابق، وأمّا السؤال فهو سؤال "الحواريين": "عيسى بن مريم" والذين اتخذوه وسيطا بينهم وبين الله يطلب منه ـــ سبحانه ـــ ما طلبوه منه. قال تعالى: [**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**] المائدة/114، وهو سؤال لأجل اطمئنان القلب بالإيمان العيان لا من أجل الشكّ في قدرة الله على ذلك، ومثاله سؤال "إبراهيم" عليه السلام ربّه ورغبته في رؤية كيفية إحياء الموتى كي يطمئنّ قلبه بإيمان الشهادة والمعاينة، مع إقراره بإيمانه بذلك الغيب.

الهوامش والإحالات:

[1] – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا الرّازي: معجم مقاييس اللغة، ج2، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ/2008م، مادة نَغَمَ.

[2] – أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان الفارابي: الموسيقى الكبير، تح: غطّاس عبد الملك خشبة، ومحمود محمد الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، دط، دس، ص162.

[3] – شاهر الحسن: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/2001م، ص130.

[4] – مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر العاصمة، دط، دس، ص37.

[5] – محمّد إسحاق العناني: مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ/2008م، ص94.

[6] – غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص243.

[7] – نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 2006م، ص138.

[8] – المرجع نفسه، ص ن.

[9] – خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمّان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م، ص149.

[10] – تمّام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1418هـ/1998م، ص226.

[11] – آمنة شنتوف: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزّيات ـ دراسة وصفية وظيفية ـ، إشراف: خير الدّين سيّب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم اللغة الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية: 1430هـ ـ 1431هـ/2009م ـ 2010م، ص161.

[12] – أحمد البابيي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1433هـ/2012م، ص187.

[13] – بدر الدّين محمّد عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، تح: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، دط، دس، ص450.

[14] – أحمد البابيي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، ص187.

[15] – ينظر: خالد عبد الحليم العبسي: النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م، ص85.

[16] – غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص243.

[17] – أحمد البايبي: المرجع السابق، ج1، ص165.

[18] – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي: تفسير القرآن العظيم، مج2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ومكتبة دار الزيّان، الجزائر، ط1، 1423هـ/2002م، ص996.

[19] – غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص243.

[20] – أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، ص 165.

[21] – ينظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2004م، ص ص167، 168.

[22] – . المرجع نفسه، ص165.

[23] – عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي: ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الجريسي للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2004م، ص197.

[24] – المرجع نفسه، ص198.

[25] – سهل ليلى: التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، مجلّة كلّية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، العدد السابع، جوان 2010م، ص ص7، 8.

[26] – أبو عثمان بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، مج1، ج1، تح: موفّق شهاب الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، ص63.

[27] – محمد جعفر: المستوى الصوتي في قراءات سورة "عبس المباركة" مقاربة دلالية على ضوء النبر والتنغيم، مجلّة مركز دراسات الأوفة، جامعة القادسية، العدد 6، 1428هـ/2007م، ص37.

[28] – ينظر: كوليزار كاكل عزيز: القرينة في اللغة العربية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/2009م، ص ص61، 64.

[29] – ينظر: كمال بشر: فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2003م، ص ص 268، 269.

[30] – مزاحم مطر حسن: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أنموذجا)، مج 6، مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العددان (3 ـ 4)، 1428هـ/2007م، ص40.

[31] – تحسين عبد الرضا الوزّان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة ناشرون وموزّعون، عمّان، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م، ص399.

[32] – صالح سليم عبد القادر الفاخرى: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 1428هـ/2007م، ص199.

*– والنغمة في قوله تعالى: ﴿**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ**﴾ نغمة صاعدة؛ لأنّ المقام مقام استفهام (الاستفهام بالهمزة)، غير أنّ الاستفهام هنا خرج عن معناه الأصلي، فهو في هذه الآية ليس بغرض الاستجواب كما هو ظاهر الآية = = بقدر ما هو تحقيقا؛ أي أنّ المتكلّم هنا وهو المولى عزّ وجلّ أراد حمل المخاطب (عيسى بن مريم) على الاعتراف بمضمون الكلام (الخطاب) الموجّه إليه...

[33] – أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، مج2، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/ 2003م، ص470.

[34] – أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، ص301.

[35] – أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، ص297.

[36] – أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، ص258.

– الأمر: طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، وقد يخرج عن هذا المعنى الحقيقي إلى معاني أخرى كالتهديد. **صالح سليم عبد القادر الفاخرى: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص201.

[37] – أبو ذرّ القَلَمُوني: كلمات القرآن الكريم في كتاب أيسر التفاسير للجزائري، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/2009م، ص169.

[38] – محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج1، ج7، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1402هـ/ 1981م، ص366.

[39] – أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله(ص)، رقم الحديث: 3060، تح: صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2002م، ص868.